النشـــــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٦ / ٢٠٠١

الأحد ١١ شباط

أحد الإبن الشاطر

القديس الشهيد في الكهنة فلاسيوس

والقديسة ثاودورة أوغستي

اللحن الأول

إنجيل السَحَر الأول

الـرســالــة (١ كورنتس ٦ : ١٢ ٢٠)

الإنــجــيــل (لوقا ١٥ : ١١-٣٢)

+ دستور الإيمان

«شخص يسوع المسيح»

«أيتها السيدة الكلية الشرف، كيف لا نتعجب من ولادتكِ إلهًا مأنسًا، لأنكِ يا منزهـــة عن العيب، من غير أن تعرفي رجلاً قد ولدتِ بالجسد ابنًا بغير أب، الذي هو قبـــل الدهـــور مولودٌ من الآب بغير أم، خلوًا من تغيير أو امتزاج أو انقسام، بل هو حافظ خواص كل مـــن الجوهرين سالمة. فلذلك أيتها الأم العذراء ابتهلي إليه أن يخلّص نفوس المقرّين والمعـــترفين باستقامة رأي أنكِ والدة الإله» (ذكصا مساء السبت، اللحن الثالث).

لعل حدث تجسد ابن الله الوحيد يسوع المسيح هو الحدث الأكثر فرادة في التاريخ، ولن يتكرر مرة أخرى، خاصة ان هذا الإله المتسجد قد جمع في شخص واحد طبيعتين إلهية وبشرية. ففي شخص ابن الله المتجسد اتحدت الطبيعتان الإلهية والبشرية دون انقسام أو انفصال أو تغيّر أو اختلاط. أي ان خواص كل من الطبيعتين بقيت سالمة رغم اتحادهما الكامل، فلم تفقد الطبيعة الإلهية صفاتها، كما لم تفقد الطبيعة البشرية صفاتها (من دون تغيّر أو اختلاط)، لكنهما اتحدتا اتحاداً كاملاً في شخص الإله المتجسد (دون انقسام أو انفصال). وهكذا فإن الكنيسة تؤمن أن المسيح ابن الله هو أيضًا ابن الإنسان. إنه إله تام وإنسان تام. هو حقًا إله وإنسان. وهو، كإله، مولود من الآب من دون أم قبل كل الدهور، وكإنسان مولود «من الروح القدس ومن مريم العذراء»، من دون أب، في بيت لحم اليهودية، منذ ما يقارب الألفي عام. بعبارة أخرى، تؤمن الكنيسة ان يسوع المسيح إله تام وإنسان تام، إله حقيقي وإنسان حقيقي، ولكنه شخص واحد لأن ابن الله ضم الطبيعة الإنسانية إلى لاهوته وجعلها مع هذا اللاهوت شخصًا واحدًا، شخص الإله المتجسد.

يتحدث العهد الجديد عن ألوهة المسيح في مواضع عديدة. فالرسول توما الذي شكّك بقيامة يسوع من بين الأموات هتف لاحقًا «ربي وإلهي» (يو ٢٠: ٢٨)، والإنجيلي يوحنا كتب «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله **وكان الكلمة الله**» (يو١:١). والرب يسوع يقول عن نفسه «**أنا والآب واحد**» (يو ١٠: ٣٠) و«كل ما هو لك فهو لي» (يو ١٧: ١٠). والرسول بولس يقول «الله ظهر في الجسد» (١تيمو ٣: ١٦). وما العجائب التي كان يسوع يقوم بها إلا دليل على ملء الألوهة فيه.

الطبيعة الإلهية في المسيح لم تمحُ الطبيعة البشرية التي تجلت في عدد كبير من المواضع. الإنجيلي يوحنا يشدد على ان هذا الإله تجسد: «والكلمة صار جسدًا» (يو ١: ١٤)، وان طبيعته البشرية كانت كاملة، إذ لما مات لعازر بكى يسوع (يو ١١: ١٥). كما انه اختبر كل ما يختبره أي إنسان عادي. نما وكبر وجاع وعطش وتألم وخاف وأُصيب بخيبات الأمل، حتى انه تعرّض للتجربة من الشيطان كما يتعرّض كل البشر. «فإذ تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضًا كذلك فيها لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس... لأنه في ما هو قد تألم مُجربًا يقدر أن يعين المجربين» (عبر ٢: ١٤ و١٨).

لقد أخذ يسوع ابن الله طبيعتنا البشرية بكاملها وصار مثلنا في كل شيء ما عدا الخطيئة: «مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطيئة» (عبر ٤: ١٥). جُرب يسوع ولم يخطئ. كان كاملاً في كل سيء، مخضعًا نفسه للآب في كلماته وأعماله وإرادته. لقد تصرّف كإنسان

كامل، آدم الجديد. استجاب للدعوة الإلهية وأخضع إرادته البشرية لإرادة الله، فأظهر للكـــون البشرية على حقيقتها الأصلية، كونها في سعي مستمر لشركة كاملة مع الله.

شكك الكثيرون خلال التاريخ بوحدة الطبيعتين الإلهية والبشرية وكمالهما في شـــخص ابن الله المتجسد، وقد دافعت الكنيسة عن إيمانها القويم من خلال كتابـــات الآبـــاء والمجـــامع المسكونية. آريوس على ان يسوع ليس إلهًا كاملاً وهو غير مساوٍ للآب في الجوهر، أي أنكر آريوس ألوهة الإبن. فكتب ضده كبار الآباء القديسين مثل أثناسيوس الإسكندري وباســـيليوس الكبير وأخوه غريغوريوس النيصصي، كما انعقد المجمع المسكوني الأول عـــام ٣٢٥ وأكـــد على كمال ألوهة الإبن.

ردًا على آريوس، وفي معرض تشديده على ألوهة الإبن، علم أبوليناريوس ان ابن الله لم يأخذ الطبيعة البشرية بكمالها، بل سكن فقط في جسد فدافعت الكنيسة ضد آراء أبوليناريوس كما انعقد المجمع المسكوني الثاني عام ٣٨١ وأعلن ان المسيح صار إنسانًا تامًا إلى جـــانب كونه إلهًا تامًا.

أما نسطوريوس فقد علّم في القرن الخامس انه لا يليق أن نسمي العذراء مريم «والدة الإله»، وانها ولدت يسوع الإنسان وليس ابن الله. لقد فصل نسكوريوس في شخص المســـيح بين ابن الله الذي لم تقع عليه الولادة ولا بقية الصفات البشرية مثل الجوع والألم، وبين يسوع الإنسان الذي وقعت عليه هذه الصفات. انعقد المجمع المسكوني الثالث عام ٤٣١ بدعم القديس كيرلس الإسكندري وثبّت تسمية العذراء والدة الإله.

على عكس نسطوريوس علم أوطيخة ان الطبيعة الإلهية في المسيح ابتعلت الطبيعـــة الإنسانية. فانعقد المجمع المسكوني الرابع عام ٤٥١ وأثبت ان المسيح «بطبيعتين بلا اختـــلاط ولا تغيّر ولا انقسام ولا انفصال». لم يقبل الجميع تعريف المجمع المسكوني الرباع واســـتمر الخلاف أكثر من قرنين. حاول الإمبراطور هرقل عام ٦٣٨ أن يحل الخلاف بإعلان قبـــول طبيعتين في المسيح، لكنه أوجب القول بمشيئة واحدة إلهية. دافع القديس مكسيموس المعـــترف عن طبيعتي المسيح ومشيئتيه، وانعقد المجمع المسكوني السادس عام ٦٨٠ وتبنـــى موقـــف القديس مكسيموس وأثبت «ان في المسيح مشيئتين طبيعيتين وفعلين طبيعيين بلا انقســـام ولا تغيّر ولا تجزؤ ولا اختلاط. وليست المشيئتان متضادتين، بل المشيئة البشرية تتبع بلا مقاومة ولا تلكؤ، وتخضع لمشيئته الإلهية القادرة على كل شيء».

من رسالة القديس فوتيوس إلى نيقولاوس بابا رومية

لا شيء أشرف وأغلى من المحبة، وهذا يُقر به الرأي الســـائد ويشـــهد لـــه الكتـــاب المقدس، لأن ما افترق يتوحد بالمحبة وما كان مقصيًا يُصالح. المحبة هي التي توحد وتضـــم

خاصتها إليها، لأن المحبة «لا تفكر بالسوء»، بل «تحتمل كل شيء وتصبر على كل شيء»، كما أنها بحسب بولس المغبوط «لا تسقط أبدًا». المحبة تجعل الذين لديهم الإيمان نفسه بالله أصدقاء حقيقيين، ولو فرقتهم المسافة ولم يشاهدوا بعضهم بعضًا. وهي تقودهم إلى الوحدة، وتماثلهم في الفكر، وتحوّلهم إلى أصدقاء حقيقيين. لا شيء يمنع الاخوة من أن يتحادثوا، والأبناء يستطيعون أن يتكلموا بجرأة مع آبائهم، فقط إن هم قالوا الحق. لذا، سأقول شيئًا أدافع به عن نفسي، لكي أكسب رضى قداستك، لقد اضطررت رغمًا عني إلى حمل نير السقفية، فلا تتهمني بأني كنت أسعى إليها، لقد حُوصرت بشدة من كل الجهات، ونظروا إليّ كما لو كانوا على وشك ارتكاب جريمة. لقد انتُخبت بطريركًا رغم رفضي، وشُرطنت رغم بكائي. كل إنسان رأى هذا كله ويعرفه، لأن هذا لم يحدث في زاوية ما، بل في العلن.

+ القديس فوتيوس القسطنطيني

في ٦ شباط تُعيِّد كنيستنا المقدسة لتذكار القديس فوتيوس القسطنطيني الذي وُلد في القسطنطينية قرابة العام ٨٢٠ في عائلة نبيلة عُرفت بتقواها وقربها من الكنيسة واستماتتها في الدفاع عن الأيقونات المقدسة. وقد تلقى علومًا عالية أهلته لتولي منصب المستشار الأول في بلاط الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث (٨٤٢-٨٦٧)، وكان يعلّم، فضلاً عن ذلك، الرياضيات والفلسفة واللاهوت.

عام ٨٥٨ انتُخب فوتيوس بطريركًا على القسطنطينية عوض البطريرك المخلوع إغناطيوس. والثابت أنه كان علمانيًا لدى انتخابه، فسيم راهبًا ثم أُعطيت له الرتب الكهنوتية تباعًا خلال أسبوع واحد حتى اعتلائه السدّة البطريركية. غير أن أتباع البطريرك اغناطيوس افتروا عليه لدى بابا رومية نيقولاوس الأول، معتبرين أن سيامته غير قانونية، فما كان من أسقف رومية، الذي كان يتحين فرصة للتدخل في شؤون كنيسة الشرق، إلا أن عقد مجمعًا محليًا في آب من العام ٨٦٣ وحكم على فويتوس فيما كان فوتيوس منصرفًا إلى تنصير الشعوب السلافية عبر إرسال صديقه وتلميذه قسطنطين التسالونيكي، الذي سيُعرف فيما بعد باسم كيرللس، وأخيه الراهب ميثوديوس إلى جنوب روسيا وبلاد البلقان. كردّة فعل، عمد البابا نيقولاوس إلى إرسال كهنة وأساقفة إلى البلقان راحوا يزعجون الشعوب التي تم تبشيرها ويطعنون بشرعية الكهنة الأرثوذكس، ويعلمون أن الروح القدس منبثق من الآب والإبن، بخلاف ما نصّ عليه قانون الإيمان النيقاوي. فرد البطريرك فوتيوس بعقد مجمع عام ٨٦٧ اشترك فيه ممثلون عن بطاركة الشرق وقطع فيه البابا نيقولاوس من الشركة الكنسيَّة.

حاول الإمبراطور باسيليوس الذي خلف ميخائيل الثالث بعد تدبير اغتياله استرضاء بابا رومية فنفى فوتيوس، ودبّر انعقاد مجمع حكم عليه عام ٨٦٩، واستبدله بالبطريرك

أغناطيوس الذي آثر أن يتقرب من فوتيوس، واستعمل نفوذه لدى الإمبراطور لإطلاق سراحه عام ٨٧٣، وأوصى به بطريركًا بعد موته هو، فعاد فوتيوس إلى السدة البطريركية سنة ٨٧٧. إثر عودته، دعا القديس بابا رومية يوحنا وبطاركة الشرق إلى مجمع عُقد عام ٨٧٩، وفيه حُكم على مجمعي رومية والقسطنطينية اللذين أدانا فوتيوس.

رعى القديس فوتيوس كنيسة القسطنطينية سنين طويلة، لكن الإمبراطور لاون السادس، ابن باسيليوس، اضطره إلى الاستقالة عام ٨٨٦. وقد قضى القديس أيامه الأخيرة منفيًا في أحد الأديرة قرب القسطنطينية إلى أن رقد بالرب يكللّه اعترافه بالإيمان القويم، في شباط من عام ٨٩٣.

عرف فويتوس بغزارة إنتاجه الأدبي رغم حياته الحافلة بالمواجهات، وخلف أعمالاً لاهوتية بالغة القيمة، أهمّها كتاب في الروح القدس، ومجموعة تفسيرية تتألف من أجوبة على ٣٢٦ سؤالاً عن مقاطع صعبة من الكتاب المقدس وجهها إلى صديقه امفيلوخيوس اسقف كيزيكوس (حاليًا إردك على بحر مرمرة في تركيا). وقد وضع القديس، بالإضافة إلى ذلك، مجموعة كبيرة من العظات اللاهوتية والرسائل، ومؤلفًا هو بمثابة دائرة معارف أدبية تُدعى المكتبة، وفيه يصف فوتيوس ٣٨٦ كتابًا تعود إلى الكنيسة الأولى والعصر البيزنطي، معلقًا عليها، ومستشهدًا بمقاطع منها. وتقوم أهمية هذا الكتاب في مدنا بمعلومات قيّمة عن بعض الكتب التي لم تصل إلينا، والتي لا نعرفها، إلا بواسطة فوتيوس.